مدينة القدس

وما جاورها من المدن والقرى الفلسطينية من خلال

رحلة أبي سالم العياشي (ت١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)

د. حنان ملكاوي

مدينة القدس وما جاورها من المدن والقرى الفلسطينية من خلال رحلة أبي سالم العياشي (ت١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)

د. حنان ملكاوي

ملخص البحث

حظيت القدس باهتمام كبير من قبل الرحالة في جميع أنحاء العالم تحديدا الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين، ولم يكن هذا الاهتمام دينياً فقط، ولكنه اتسع ليشمل اهتمامات أخرى حضارية وثقافية واجتماعية وسياسية وغيرها، ورغم اختلاف الدوافع من زمن إلى آخر، إلا أن المدينة بقيت مسرحاً لأحداث عظيمة مازالت موضع بحث وتقويم حتى اليوم، ومازالت مدينة تنبض بالحياة، لم ينقطع ماضيها عن حاضرها.

لذا يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على الحياة الثقافية والفكرية وجوانب من الناحية الأمنية في مدينة القدس وما جاورها من القرى الفلسطينية في العصر العثماني من خلال رحلة أبي سالم العياشي، إذ يبرز دور المسجد الأقصى كمركز ديني وعلمي في إغناء الحياة الثقافية والفكرية لدى المجتمع المقدسي.

Abstract:

Jerusalem welcomed with great enthusiasm travelers from all over the world specifically Moroccans travelers in the seventeenth and eighteenth centuries, was not this interesting in regards of religion alone but was significant in a more cultural, social and political context, and despite the different motives from time to time, the city remained the scene of great events and those very events are still the subject of research and evaluation Jerusalem is still a vibrant city—A city that has not alienated her present from its past. So, This research seeks to shed light on the cultural and intellectual life and aspects in terms of security in the city of Jerusalem and the neighboring Palestinian villages in the Ottoman era through the journey of Abu Salem Ayashi, as it highlights the role of the Al Aqsa Mosque as a center of religious and scientific learning and thus a place that enriched the cultural and intellectual life amongst the community named as Maqdisi. "

المقدمة:

تعتبر الرحلة صنف تأليفي يتتبع من خلاله الرحالة في لحظات تنقله أمكنة معينة، يرصد من خلالها ذكرياته أثناء التنقل في وصفه للمسالك والممالك، وفي الحديث عن الطرق والمجتمعات التي يتصل بها والظروف المحيطة أثناء ذلك، وما يلاحظه من وقائع وأحداث قد تدعو إلى تسجيلها والكتابة عنها، مع عرض أنشطته المختلفة أثناء هذه الرحلة، ويكون للرحالة عدة أهداف للقيام برحلتهم منها: التشوق إلى الحج وزيارة الأماكن المقدسة، أو زيارة الشيوخ والعلماء واللقاء بهم والاستفادة منهم، أو مجرد الرحلة للزيارة والتنزه والمغامرة.

وتصنف رحلة العياشي من أهم رحلات القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، والتي أجتمع فيها أكثر من هدف لصياغة رحلة واحدة، فتلونت بلون خاص أكسبها خصوصية مميزة، إذ شغل بال الرحالة فيها شوق إلى الحج والزيارة، وتطلع إلى لقاء العلماء والاستفادة منهم، وهي من الأعمال الموسوعية التي انطلقت من سجلماسة في المغرب عام ١٠٧١هـ/ ١٦٦١م تجاه مصر، مرورا بأرض الجزائر وتونس، ثم الوصول إلى مهوى الأفئدة مكة المكرمة والمدينة المنورة، درس الرحالة لمدة سبعة أشهر فنونا من العلم وألوانا من المعرفة، التقى بها جلة من العلماء والمشايخ في المدينة المنورة ومصر، وأصبحت هذه الرحلة فيما بعد موئلا للعلماء للاستزادة فيما يتعلق بتراجم العلماء والمشايخ منهم الإفراني في كتابه "الصفوة".

أما عن الأرض المقدسة فلم تكن بمنأى عن رحلة العياشي، فزار غزه والتقى ببعض أعيانها، ووصف الأحوال الأمنية التي آلت إليها المدينة وبعض القرى الفلسطينة الأخرى، والتقى ببعض المشايخ في الرملة والخليل، آثر زيارة القدس الشريف للالتقاء بعلمائها وبعض متنفذيها، وسعى للتبرك بقبور أوليائها، بالإضافة

إلى وقوفه على بعض الكتب والمعتقدات لسكانها آنذاك. وقدم وصفا للمسجد الأقصى بعيدا عن المدارس المزدهرة في تلك الفترة، وستسهم هذه الدراسة باستعراض المدن والقرى التي زارها العياشي وهو في طريقة إلى القدس ووصفه للمسجد الأقصى.

التعريف بالرحالة العياشي:

هو العلامة الفقيه والرّحالة الأديب أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، يرجع نسبه إلى قبيلة آل عياش البربرية، ويتصل نسبه بالأدارسة الأشراف، يلقب بعفيف الدين المالكي، ويشتهر بكنيته[١].

ولد ليلة الخميس أواخر شعبان من سنة (١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م)، في بيت يعرف أهله بالعلم والديانة والعفاف، وصادفت ولادته ونشأته بداية إشعاع الزاوية العياشية التي أسسها أبوه محمد بن أبي بكر سنة (١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)[٢]، لنشر العلم وتربية الناس، وعلى يديه أخذ المترجَمُ القرآن الكريم ومبادئ العلوم، ولذلك صدّر فهرسته الحافلة «اقتفاء الأثر» بترجمته، فقال: «أولهم وأولاهم بالتقديم والدي أسكنه الله فسيح جنته، وتغمدنا وإياه برحمته، رباني فأحسن تربيتي، وغذّاني بنفائس علومه فأحسن تغذيتي، قرأت عليه القرآن العظيم غير ما مرّة»[٣]

لم يشف غليل العياشي ما أخذه عن والده وشيوخ الزاوية من بلده، فرغب في توسيع دائرة معارفه، فرحل سنة (١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م) إلى الزاوية الناصرية بمنطقة درعة[٤]، وحضر مجالس الشيخ محمد بن ناصر الدرعي (ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م)، في الفقه والتفسير والنحو والحديث والتصوف، ثم انتقل إلى فاس حاضرة العلم والعلماء في وقته، فأخذ عن أعلامها أمثال الشيخ العارف أبي محمد عبد القادر بن علي فاسي (ت١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م)[٥]، وشيخ الجماعة الفقيه المدرّس أبي العباس أحمد بن موسى الأبّار (ت١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م)[٦]، والعلامة أبي عبد الله محمد بن ميارة الفاسي (ت١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م).[٧]

وارتحل العياشي إلى المشرق، إذ كانت الرحلة من التقاليد المتبعة عند علماء الإسلام، من أجل الإستزادة من العلم والالتقاء بالعلماء والمشايخ والإطلاع على

مزيد من العلوم والمعارف، ويتحدث العياشي عن دوافع رحلاته المشرقية قائلا: "أخذت عن الأعلام الذين أدركتهم بالمغرب قليلا، فلم يشف ما لديهم مما أجد غليلا، ولا أبرأ عليلا؛ لأنهم اقتصروا من الكتب على ما اشتهر، واستغنوا عما غاب بما ظهر، دون المسلسلات والأجزاء الصغار...فلما مَنَّ الله تعالى بالرحلة إلى البلاد المشرقية أولا وثانيا، ولعنان العزم نحو الرواية ثانيا تتبعت ذلك في مظانه"[٨]، ففي الحجاز جاور عدة سنوات وأخذ العلم والتصوف عن جماعة منهم زين العابدين الطبري وعبد الله باقشير، وعلي بن الجمال، وعبد العزيز الزمزمي وإبراهيم الكردي وحسين العجمي، ومنهم عيسى الثعالبي أحد أعيان الجزائريين المهاجرين إلى مكة، ونال من هؤلاء جميعاً الإجازات وكتب عن بعضهم الأسانيد[٩].

ومن شيوخه المشارقة أيضا شيخ المالكية بمصر العلامة أبو الحسن علي الأجهوري (ت١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م)[١٠]، والشهاب أحمد بن محمد الخفَّاجي أفندي (ت١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م) والشيخ محمد بن علاء الدين البابلي، المصري (ت١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م)، ومفتي المالكية بمكة تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم المكي الأنصاري (ت١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م)، وغيرهم ممن ترجم لهم في فهرسته.[١١]

وقد مكنت هذه الرحلات أبا سالم من الغوص في العلوم الإسلامية، من تفسير وفقه وحديث ولغة ونحو وأدب، وجمع مكتبة قل نظيرها في عصره، لما تضمنته رفوفها من كنوز ونوادرَ، في مختلف العلوم نقليةٍ وعقليةٍ، وبذلك أصبح من ألمع علماء عصره، تُشَدُّ إليه المطايا من مختلف الآفاق، وجلس للتدريس والتأليف وتخرّج على يديه زمرة من علماء وقته، أولهم ابنه حمزة بن أبي سالم (ت١١٣٠هـ/ ١٧١٧م)، وابن أخته محمد بن عبد الجبار العياشي (ت١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م)، وأديب العصر محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي (ت١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م)، والمحدث أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت١١٢٩هـ/ ١٧١٦م)، كما أجاز مجموعة من العلماء[١٢].

وحظيت شخصية أبي سالم العياشي بتقدير كبير من معاصريه أو ممن جاء بعده فحَلّوْه بأحسن الأوصاف، وكريم الأخلاق، فوصفه الإفراني، صاحب كتاب«صفوة من انتشر»، أنهأحد من أحيا الله بهم طريق الرواية بعد أن كانت شمسها على أطراف النخيل، وجدّد من فنون الأثر كل رسم محيل"[١٣].

وبجانب الاشتغال بالتدريس أكبّ الشيخ العياشي على التأليف، فترك جملة من المؤلفات التي أغنى بها المكتبة الإسلامية فاقت الأربعة والعشرين كتابا منها: منظومة في البيوع وشرحها، الحكم بالعدل والإنصاف للخلاف فيما وقع بين فقهاء سجلماسة من الاختلاف [١٤]، والرحلة الكبرى الموسومة بـ«ماء الموائد»، وله كذلك فهرسة كبرى سماها«اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر»، وصغرى بعنوان«إتحاف الأخلاء بأسانيد الأجلاء»، و«هالة البدر في نظم أسماء أهل بدر»، و«معونة المكتسب وبغية التاجر المحتسب»، وهو رجز نظم فيه بيوع ابن جماعة التونسي، وشرحها في «إرشاد المنتسب إلى فهم معونة المكتسب»، وإجازات وقصائد في المدح، إلى غير ذلك من المؤلفات المنبئة عن علو كعبه، وسمو منزلته، وغزارة علمه[١٥].

توفي أبو سالم العياشي يوم الجمعة ١٧ ذي القعدة من سنة١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م، بعدوى الطاعون الذي اجتاح بلاد المغرب آنذاك.[١٦]

رحلته الى فلسطين:

جال أبو سالم العياشي فلسطين بين صفر وربيع الثاني من سنة ١٠٧٣/١٦٦٣م؛ ولم تكن في نيته زيارة فلسطين وفي ذلك يقول "وفي الذي يليه نزلنا العقبة ظهرا، ووجدنا أهل غزة وأهل معان قدموا بعنب كثير وفاكهة، وبات الناس بها تلك الليلة وأقاموا غدا، وهناك تجددت لنا نية السفر إلى القدس الشريف"[١٧]، ويبدو أن نية العياشي في الأغلب زيارة الأماكن الحجازية والكتابة عنها، وليس القدسية أو الفلسطينية، ويظهر أن السبب الذي منعه بداية من زيارة مدينة القدس؛ قلة الأموال التي تعينهم على السير، والأخطار المحيطة بها خصوصا على الطرق، ولعدم وجود معارف يدلونه على الطريق[١٨].

لكن وجود الحاج أحمد العجيس الطرابلسي معهم في الرَّكْب ووجود أهل غزة في العقبة جعله يغير خطته ويعزم على زيارة القدس، فقد اكترى لهم (وكانوا ثلاثة) الحاج أحمد الطرابلسي حملين وجلب لهم الماء من رجل اسمه صبح الدباب، من عرب الحكوك، ووفر لهم ما يحتاجونه من نفقة في الطريق إلى القدس، فتخفف العياشي وصاحبه من الأثقال وترك كتبه عند الركب المغاربي المتوجه إلى مصر، وفارقوا الركب الذي رحل عنهم يوم ٢٩ محرم، وقد شعروا بوحشة عظيمة، وكانوا الثلاثة "مثل الأثافي لا رابع لنا إلا عناية الله.

وكانت غزة بداية رحلة العياشي الذي لفت انتباهه ما رآه فيها من "البساتين والأشجار والمنازل والقصور"، فبقي فيها خمسة أيام كاملة قضاها في التحدث إلى أهلها فوجدها "بلدا فسيحا، ومنظرا رائقا، وأسواقا حافلة[١٩] وأسعارا رخيصة" ودخل المسجد الكبير ولم يذكر اسمه[٢٠]، ويبدو أنه جامع الجاولي الذي وصفه عبد الغني النابلسي في رحلته إلى القدس بأنه اكبر جوامع غزة وتصلى فيه الجمعة[٢١]. وكان أهل المدينة

يشكون من العربان المخالفين الذين يغيرون على القرى التي حول المدينة وينسفون زروعها [٢٢]، وكان الباشا في تلك الأيام يضم البيارق[٢٣] من النواحي ويتهيأ للخروج إليهم، لكنه لم يتمكن من القضاء عليهم لشجاعتهم وقوتهم[٢٤]. وبعد إقامة خمسة أيام من غزة، ارتحل العياشي عنها من الثاني عشر من صفر ١٠٧٤. واكترى هو وصاحباه حمارين إلى الرحلة. وتخففوا من بعض حوائجهم فتركوها في غزة لحين الرجوع. وقد كتب إليه الشيخ عبد القادر الغصين رسائل إلى أعيان الرملة والخليل والقدس، يوصي به وبأصحابه خيراً[٢٥].

وبعد غزة كانت قبلة الرحالة المغربي الرملة والقدس والخليل، فاتجه شمالا مرورا بعسقلان مستقصيا أمور المساجد والمزارات، وكان يريد زيارتها وزيارة ما فيها ولم يقدر له ذلك، قال عنها" وكانت في العصر الأول من أمهات المدن، إلى أن خربها السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد فتح المقدس، خشية استيلاء الإفرنج عليها فيجعلوه ذريعة إلى التوصل الى القدس، وقد عجز المسلمون عن حفظها في ذلك الوقت، ولم أر من ذكر أنها عمرت بعد ذلك عمرانا معتبرا[٢٦]، وتؤكد المصادر التاريخية حقيقة ذلك، أذ كان المصاب الأكبر الذي ألم بمدينة عسقلان، هو عملية تدمير المسلمين لها وإحراقها على نحو متعمد على يد صلاح الدين في التاسع عشر من شعبان ٥٨٧هـ/ الثالث عشر من ايلول ١١٩١م، والسبب الذي حدا بصلاح الدين أن يفعل ذلك عندما عرف أن سيطرة الصليبين عليها باتت أمرا وشيكا، وقد قضى الصراع الصليبي الإسلامي على معالم الحياة في تلك المدينة، سواء الحياة الاجتماعية فيها؛ إذ هجرها سكانها بعد أن أصبحت قاعدة إسلامية مدمرة، بالإضافة إلى الحياة العلمية الثقافية التي شهدت تراجعا واضحا بعد الأحداث التي لحقت بالمدينة[٢٧] وقد زار العياشي في طريقه إلى الرملة خان أسدود، وهو منزل معلوم تنزله القوافل الآتية من مصر على الطريق السلطانية أو من الشام، ولهم منازل معلومة لا يتعدونها، طالت

الرحلة أم قصرت من مصر إلى الشام، بل وإلى اسطنبول على ما خبرني من مارس تلك البلاد[٢٨].

ومن الرملة واصل العبور صوب القدس، مرورا باللد، التي وصفها بأنها "مدينة فسيحة مليحة مجاورة لمدينة الرملة بينهما نحو من فرسخ من ناحية البحر وفيها أسواق ومساجد ومزارات"، وأورد العياشي ضيافة البلده لشخصية مهمه وهو الأغا[٢٩] الذي تربى السلطان في حجره ولم يورد من هو، وكان الحاكم في تلك الفترة السلطان محمد الرابع (١٦٤٨-١٦٨٧) ويتضح ذلك بقوله" وقد صادف دخولنا الرملة نزول أكابر أغوات السلطان بها، وقدم من اسطنبول في أبهة عظيمة على ما يحكى، وزعموا أنه هو الذي ربى السلطان في حجره، وهو المتولي الدار التي فيها حرم السلطان وجواريه، ثم حصل بينه وبين السلطان جفوة، واستحيا السلطان أن يواجهه بمكروه، فبعثه إلى مصر مصحوبا بجميع ماله، ولم يرزأه شيئا، ثم أتبعه رسولا إلى مصر يأمرهم بقتله خفية، فأخذوا جميع ماله وبعثوه إلى الصعيد، فلم يظهر له أثر بعد ذلك، وقد حكى لنا من أبهته أمور مستغربه، من ذلك أن له خمسا وثلاثين محفة في كل من الآلة كلها مجلله، وزعموا أنه أكترى من اسطنبول نحوا من خمسين سائسا لخيله بأزيد من أربعين فرسا لكل واحد سوى ما يتبع هذا من بسط وفرش وأموال وذخائر وأبل وعبيد وإماء للخدمة، بحيث يستغرب أن يكون مثل ذلك لملك من ملوك الأرض "[٣٠]

ويبدو أن البلاد كانت تعاني من شح المياه آنذاك ويظهر ذلك من خلال ما أورده العياشي بقوله:"سمعت ونحن بالرملة من يقول إن أهل البلد قد تضرروا بالعطش في هذه الأيام، فإن أمير البلد قد أمر بجمع كل سقاء البلد يستقون للآغا، وقد أخبرني أهل خان يونس أنه لما نزل بهم لم يجد أحد من أين يستقي جرعة ماء من جميع السواقي التي في البلد، وقد اشغلها كلها بسقي خيله وإبله وملء قربه ورواياه"[٣١]، إضافة إلى أن هذه الرواية تعكس ما عانته بعض المدن والقرى من تصرفات المتسلمون

الجدد الذين أرسلهم ولاة الشام في الثلث الأخير من القرن السابع عشر كانوا أغرابا عن المنطقة، وعينوا لفترة قصيره وتعينهم هذا لم يعطهم الفرصة الكافية لمعرفة السكان وقضاياهم، فكان جلّ إهتمامهم هو جباية أكبر قدر من الضرائب[٣٢].

وعندما وصل العياشي مدينة القدس وصف المسجد الأقصى، وتحدث عن بعض علماءها، لا سيما بعض المتنفذين منهم، كما تحدث عن قبة الصخرة، وزاوية المغاربة، وبعض أبواب المدينة.وعند دخولهم القدس الشريف، صلوا العصر بقبة الصخرة، ووضعوا حوائجهم في زاوية المغاربة. وهناك التقى العياشي بالشيخ محمد الصيداوي، نقيب رواق الشيخ منصور، وكان الرواق يقع تحت صحن الصخرة المقدسة، وكان الشيخ الغصين قد كتب إلى الشيخ الصيداوي بشأن العياشي، ولذلك احتفى الشيخ الصيداوي بضيوفه وأعطاهم بيتاً إزاء الرّواق الذي كان داخل المسجد، فاغتبطوا بذلك لأنهم سيتمكنون من الجلوس في المسجد والصلاة فيه متى شاؤوا.

المسجد الأقصى وما يحيط به من الأسوار والمغر كما يصفه العياشي:

للمسجد الأقصى مكانه عظيمه في نفوس المسلمين، وتعتبر زيارته والتبرك به ذات أهمية بالغة لدى المتصوفة في عهد الدولة العثمانية، وحظي الشيخ العياشي بزيارته، بعد أن وصل مدينة القدس؛ حيث أقام بزواية المغاربة وشعر بالراحة لأن عدد الزوار المغاربة كان كبيرا جدا إلى حد إفراد زاوية إلى المغرب من القبة عرفت باسم (زاوية المغاربة)"، ووصف العياشي المسجد المقدس بكونه "آية من آيات الله في فخامة البناء وسعة المقدار، فيه أشجار كثيرة من التين والزيتون عظيمة (...)، وطوله من الجهة الشرقية ستمائة ذراع و٦٥ ذراعا بالذراع المالكي، وعرضه أربعمائة ذراع وستون بالذراع المالكي"[٣٣] وأما الأروقة التي في داخله والبيوت التي في خارجه فشيء كثير". كما وصف قبة الصخرة الواقعة في وسط المسجد، لها أربعة أبواب دون القبة، كلها نحو من خمسمائة قدم. وحيطان القبة وأرضها مزخرفة بأنواع الفسيفساء المصبوغة بأصباغ مختلفة ونقوش عجيبة، وهي في غاية الارتفاع وإتقان البناء، وأبوابها في غاية العظمه، وداخل الأبواب درابيز فيما بين الأساطين على دور الصخرة، وفي داخل الأساطين الصخرة المقدسة يحيط بها شباك من خشب دوره نحو من تسعين خطوه، والصخرة لونها يميل إلى الزرقة في غاية الصلابة، وشكلها فيه استدارة يغلب عليه الطول، وغلظها نحو من ذراعين، وعلى ظهر الصخرة ندوب ومربعات صغيرة وكبيرة، كأنها أماكن احجار قطعت منها جدا، وأنهم قطعوها وبنوا منها الكنيسة المسماة بقمامة، وعجائب هذه الصخرة والسلسلة التي كانت عندها في عهد بني اسرائي مرتفعة، وهي واقفة في الهواء على ما ذكروا، لا يمسكها الا الله"[٣٤] وأما في عصرنا فقد بني بازائها ومن تحتها الى أن صار ما تحتها شبه مغارة على هيئة مسجد يصلي فيه الناس، ويدخل الناس إليه من تحت طرفها المسمى بلسان الصخرة، وهو

من ناحية القبلة، وكنت أدخل إليها في غالب أوقات الصلوات وأصلي تحتها ما تيسر. وبين الباب القبلي والغربي في أحد الأساطين حجر يقال إن فيه بعض أثر أعضائه صلى الله عليه وسلم، والناس يتبركون به، ومن وراء قبة الصخرة قية لطيفة يصلي فيها الناس، يقال منها عرج برسول الله، ليلة المعراج، ويحيط بمسجد الصخرة بيوت ينزلها المتعبدون، وفي فبة الصخرة من تحت الصحن بغلوة المسجد الأقصى، وهو كله مسقف، وفيه تصلى الجمعة، وبناؤه من أرفع الأبنية، وفيه موضع زعموا أن فيه صلى عمر رضي الله عنه لما دخل بيت المقدس، وفي ركنه الشرقي موضع يزار فيه حجر منحوت يقال له مهد عيسى، وهناك طاقات واسعات في جدار المسجد يشرف منها إلى الوادي الذي يقال له وادي جهنم، وورد في بعض الآثار تسميته بذلك، وهناك رأس عمود من رخام خارج من جدار المسجد يقولون إنه رأس الصراط المنصوب على جهنم، وهو لا أصل له، وينزل من ذلك الركن في درج إلى مسجد آخر تحت المسجد الأقصى واسع جدا مرفوع على أساطين من حجارة منحوتة هي من البناء السليماني، وزعموا أن ذلك هو المسجد في عهد سليمان، وأن الذي فوقه إنما بني بعد ذلك، وما ذكروه هو الأقرب، وذكروا أنه ممتد كذلك إلى الصخرة، وأن أرض المسجد الآن كلها سطح ذلك المسجد ولا يبعد ذلك.[٣٥]

وقد وصف المزارات المحيطة بقبة الصخرة وأورد وصفا لها بقوله:"وبالجملة فغرائب الصخرة والمسجد الأقصى وما حولها من المزارات شيء كثير، وقد ألفت فيه التأليف.. فمن ذلك حجر خارج بعض أبواب المسجد الغربية مثقوب هو في أصل حائط يزوره الناس ويدخلون فيه أيديهم ويتمسحون به، ويقولون أنه الذي ربط به النبي دابة البراق ليلة المعراج وخبره مذكور في الصحيح، ومن عجائب صفة هذا المسجد أن ناحية منه شرقية قد غلب عليها العشب والكلأ اليابس فلا يقدر أحد أن يمشي فيها بلا نعل لكثرة شوكها المنكسر بعضه على بعض، وإنما يمر الناس في خط

رقيق بين ذلك المشيح، وذكروا أن ذلك المحل ربما زرعوا فيه الحبوب في بعض الأحيان ويستغلوها بالبعل لان البلد كثيرة الأمطار، وقد ذكر بعضهم أن من خاصية هذا البلد الشريف أنه ما رئيت السماء صاحية فيه يوما كاملا، صيفا ولا شتاء، ولا بد أن يرى في السماء غيم، ولا يبعد ذلك، فقد ورد في الآثار أن الأرض المقدسة هي أرفع مكان في في الأرض وأقربه إلى السماء، وأنها أقرب إلى السماء من جميع الأرض بثمانية عشر ميلا، وبقدر ما ترتفع الأرض تقل حرارتها وتكثر أمطارها[٣٦]

ومن المزارات التي زارها العياشي طور زيتا من شرقي المسجد، بينه وبين الوادي الكبير المسمى بوادي جهنم وطور زيتا مشرف على القدس كله، وعلى غالب تلك البلاد التي حوله، وفي أعلاه مزاره، فيها مكان يقال أن المسيح عليه السلام رفع من فوق حجره، وسيطر النصارى عليه، وسعى الشيخ محمد العلمي في استخلاصه من أيديهم لكنهم رفضوا واستماتوا على بقائه في أيديهم، وبذلوا في ذلك الأموال[٣٧]، فأعانه الله عليهم حتى أخرجه من أيديهم، وهو الآن في يد أولاده، وقد بنى تحته مشهدا ورباطا فيه قبره الآن[٣٨].

ولم يفوت العياشي الفرصة لزيارة المزارات النصرانية لا سيّما قبر مريم العذراء في كنيسة في أصل الوادي، ومولد نبي الله عيسى عليه السلام[٣٩]. كما زار قبر نبي الله موسى عليه السلام ومزارات أخرى منها قبر رابعة العدوية على جبل الطور[٤٠].

ومن عيون الماء التي وردها العياشي عين سلوان[٤١] في اسفل الوادي ولم يصلها، ولكنه شرب من ماءها وقد وردت آثار في فضلها، زعم بعض الفقراء أنه وقعت منه آنية في بئر زمزم بمكة فذهب إلى القدس فوجدها على باب المحل الذي فيه عين سلوان، وزعموا أنهم استخرجوها من العين، فيقولون إن مادتها من زمزم، ويذكرون في أثرا وهو بعيد من حيث العادة أقرب شيء بالنظر إلى أثر قدرة الله تعالى، وليست

عينا معينا ماؤها على وجه الأرض، إنما هي مثل حوض ينزل إليه بدرج على ما أخبروا. قالوا: ربما ارتفع ماؤه حتى يجري على وجه الارض في سنين الخصب[٤٢].

وقد وصف سور المسجد الشرقي، وهو من بناء سليمان عليه السلام، بنته له الجن بتسخير الله لهم، وأثر ذلك ظاهر ليس في قوة البشر تعاطي مثل ذلك[٤٣].

الناحية الأمنية في مدن وقرى فلسطين في القرن الحادي عشر الهجري /السابع عشر الميلادي كما تعرضها الرحلة العياشية:

تظهر رحلة العياشي تردي الأحوال الأمنية على الطرق في بعض القرى والمدن الفلسطينية، و يظهر ذلك من خلال الرسوم التي اجبر على دفعها السكان لضمان سلامة الوصول، فعند وصول العياشي إلى غزة أشار إلى الإتاوة التي كان يدفعها الحجاج للعربان المتواجدين على الطريق ومما ورد على لسانه" وتأخر رفقتنا الشاميون حتى غابوا عن أعينهم في شعاب العقبة أخذوا بالارتحال، وارتحلوا في خفارة أمير الوحيدات[٤٤] وما والاها من عرب غزة المسمى الشيخ بشير، وكان ورد العقبة في عشرين فارسا من أصحابه، وهو صاحب درك الركب المصري والشامي في تلك البلاد، وكانت بينه وبين كبير حجاج أهل غزة في تلك السنة الحاج حسن المغربي معرفة، فتكلم معه على أن يذهب بهم بإتاوة إلى غزة يؤدونها له، فخاف الحجاج غدرة وعدوانه، فتكفل لهم صاحبه الحاج حسن المغربي بكل ما يقع منه من نقص وغدر، وتوقى منه بصاحبه، وذهبوا به إلى أمير الحاج المصري حتى تكّفل لهم بذلك بين يديه، وكتبوا عليه سجلا على ما زعموا وسبب ذلك أن هؤلاء الأعراب نافقوا على عسكر غزة في هذه السنة، ووقع بينهم وبينه قتال، ونهبوا عسكر أمير غزة، وخرجوا عن طاعته، فلذلك خاف منه الحجاج الشاميون... ومع ذلك فقد ذهب أكثرهم إلى مصر ولم يأمنوا أن يذهبوا معه"[٤٥].

وفي غزة أيضا، جعل الأعراب يعدون الإبل لأخذ الغفر الذي شارطوهم عليه، فأخذوا من العياشي ورفاقه على كل جمل قرشين، وعلى كل جمل من جمال الأقوام ثلاثة، والأقوام عندهم هم الفلاحون. وكنا توهمنا أنهم يأخذون منا، فصرفهم الله عنا.. فلم يتعرضوا لنا بسوء"[٤٦].

وحصر شيخ العرب الناس حتى عاود لحساب الإبل والأجمال، فأراد أن يعد الإبل، فقال حسن المغربي شيخ القافلة: هؤلاء حجاج فقراء لا شيء معهم فتركها، فلما كان بعد المغرب رأوا سوادا عقبهم الى الماء فظنوهم عدوا، فرجعت الخيل إلى الماء، وبات الناس هناك، فإذا هم قوم من العرب معهم أحمال للتجارة فروا بها من الغفر، فأتوا بها وغفروها"[٤٧].

وبعد قضاء أسبوع كامل في القدس غادر العياشي المدينة متجها إلى الخليل، وعلى طريق أريحا المؤدي إلى القدس أراد العياشي زيارة قبر النبي موسى "وقد خشيت أن أحرم زيارة المكانين ونحن في غاية القلق لا يمكننا تطويل الإقامة خشية فوات الركب بمصر، فأشار علي المستشار بالوصول إلى قاضي البلد والتعرف له فإنه قد يتمكن ذلك على يده، وكان القاضي في ذلك الوقت الشيخ محمد الميقاتي التونسي المغربي، قدم من اسطنبول متقلدا لقضاء القدس، وكانت له وجاهه عند السلطان والعسكر من لدن عهد أخيه الشيخ أبي الحسن الميقاتي رحمه الله، فترقى بجاه أخيه، واستوطن اسطنبول مدة أعوام، وقدم في هذه السنة إلى القدس وليست له قوة الحافظة العلمية، إنما هو مجرد ترسم ووجاهة أكسبته ذلك، إلا أنه ينتمي إلى الصلاح بسب أسلافه.. وأكرمه ونصحه بعدم زيارة قبر موسى عليه السلام في هذه الأيام، والمحل ليس موثوقا أنه قبر الكليم عليه السلام"[٤٨].

وفي طريقه إلى مدينة الخليل أرسل معه قاضي القدس محمد الميقاتي التونسي قوة لحمايته ولإيصاله إلى المدينة، لسيطرة قطاع الطرق عليها، كما أرسل معه رسالة إلى نائبه يوصي به، فوصل العياشي المدينة بسلام وصلى في الحرم الإبراهيمي[٤٩].

ولم يستطع الخروج من المدينة في وضح النهار، حتى تأتي فرقة من الفرسان لتسير معهم ويظهر ذلك من قوله" لأن المحل مخوف، وغالب أهله متلصصون، وقد

أخبرنا بعض من سافر معنا من أهل البلد أن جماعة من متلصصي ذلك البلد جاؤوه وقالوا له: وافقنا على سلب هؤلاء المغاربة، فإذا شلحناهم أخذنا نحن الأمتعة وأخذت أنت ما معهم من الذهب، وشلح في لغتهم بمعنى سلب، والمغاربة في أقطار المشرق كلهم متهمون بالذهب، ولو أن صاحبنا الشيخ إبراهيم المرواني كان أكد كثيرا على كل من سافر معنا من أهل البلد وقال لهم: لا يخلص إليهم بسوء إلا عمكم، لباعونا وأكلوا اثماننا، ولكن الله سلم،،، وبقي خوفهم من العربان حيث قال:"وسرنا بقية يومنا خائفين من العرب لانهم يغيرون في ذلك المحل لما وقع بينهم وبين باشة البلد كما قدمنا.. (عند خروجهم من قرية بيت جبرين)، وعندما وصلوا قرية السوافير أضافهم أهلها.

ويظهر أنّ الأوضاع الأمنيّة والسياسيّة في بعض مدن وقرى فلسطين بقيت على هذه الحال في أواخر القرن السابع عشر، فقد أشار الرحالة عبد الغني العياشي الذين زار سنجق القدس عام ١٦٩٠م، إلى الفوضى والاضطراب الأمني بدءًا من الساحل[٥٠]؛ أما في نواحي القدس الشمالية و وفي لواء نابلس فلم تكن أمور الضبط والربط أفضل حالا، فالعائلات المسؤولة عن حراسة الطرق لم تقم بدورها، في حين أنها فرضت مبالغ أكبر من ضريبة الغفر على الزوار[٥١]. وأما طريق التجارة والزيارة بين يافا والقدس فلم تكن أحسن حالا في تلك الفترة، فقطاع الطرق، وعلى رأسهم عربان المنطقة، لم يتوانوا حتى عن مهاجمة سكان اللد والرملة[٥٢].

وربما تعود أسباب الفلتان الأمنيّ على بعض الطرق التي مرّ بها الرحالة إلى: محدودية إمكانات حكام السناجق القادمين من العاصمة في المجالين العسكري والمالي بسبب انشغال الدولة بالحروب الخارجيّة، والأزمة الاقتصاديّة التي كانت تمرّ بها البلاد[٥٣]، ممّا أدّى إلى عجز حكّام السناجق عن إحكام سيطرتهم على الأوضاع الأمنيّة

داخل السنجق. ويشير بعض ما كتبه الرحالة إلى الحالة الأمنيّة في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن السابع عشر الميلادي وأنّ إدارات سنجق القدس المتعاقبة كانت تواجه صعوبات كبيرة في المحافظة على أمن الطرق المؤدّية إلى مدينة القدس، مع أنّ مواسم الحج والزيارة إلى مدينة القدس ومدينة الخليل، وقرب السنجق من الطريق السلطانيّ الذي تسير عليه قافلة الحج الشامي المتّجهة من دمشق إلى الحجاز، بالإضافة إلى أهميّة الطريق التجاريّ المارّ بفلسطين كانت حافزًا قويًّا للدولة العثمانيّة للعمل على تكثيف النقاط الأمنيّة في السنجق، ولا يمكن التشكيك في أنّها عملت منذ قدومها إلى المنطقة على بناء الحصون والقلاع وإقامة الحاميات العسكريّة فيها لتأمين سلامة المسافرين[٥٤]؛ فالخياري الذي زار السنجق عام ١٠٨٠هـ/ ١٦٧٠م ذكر أن جماعته سارت برفقة العساكر من مدينة الرّملة إلى مدينة القدس؛ كي يدفعوا عنهم شرّ قطاع الطرق[٥٥]، ورافقت العساكر إوليا جلبي وجماعته عندما توجّهوا من مدينة القدس إلى مدينة الخليل عام ١٠٨٢هـ/ ١٦٧٢م؛ لتوفير الحماية لهم[٥٦]. وقال جلبي: "إنّ أرباب الإقطاعات يرافقون الحجاج إلى الخليل ومهد المسيح وإلى مقام النبيّ موسى؛ لأنّ الطريق غير آمنة من العربان الثائرين"[٥٧]. وعندما انطلقت قافلة الزوار المسيحيين برفقة حاكم السنجق إلى نهر الأردنّ بمناسبة عيد الفصح عام ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م، تحدّث هنري مندريال عن مخاطر العربان الذين كانوا يطلقون النار مطالبين برسم المرور[٥٨]، وانتظر عند عودته إلى مقر إقامته في حلب حتى خرج في صحبته متسلّم طرابلس الذي كان في زيارة إلى مدينة القدس، وعلّل ذلك بأنّ الأنباء تواترت من مختلف الجهات عن عدم الأمن في الطرقات بسبب خلافات البدو وتعدّياتهم[٥٩].

لقد انعكس الانشغال الدولة في البلقان وضعف أمور الحكم في فلسطين بعد القضاء على دور عائلات الأمراء الثلاث (آل رضوان، آل طرباي، آل فروخ)على أحوال الإدارة والأمن. وتقدمت عائلات الأعيان والعلماء المحليين لملىء الفراغ

الناشئ، لكن هذه العائلات لم تكن مؤهلة لملء الفراغ العسكري وإدارة شؤون الحكم. وفي ظل هذه الأوضاع نشبت، منذ أواخر القرن السابع عشر، صراعات بشأن السلطة والنفوذ بين العائلات القوية عرفت، فيما بعد، بتحزبات القيس واليمن.[٦٠]

الناحية العلمية في الرحلة العياشية:

لم تكن الناحية العلمية غنية في رحلة أبي سالم العياشي، وليس لنا أن نستغرب ذلك؛اذ لم تكن في نيته زيارة بيت المقدس، إضافة إلى أن المدة التي قضاها في فلسطين لم تكن كافية لزيارة كافة المدارس والمساجد والزوايا التي تحويها المدن والقرى الفلسطينة، ففي غزة زار مسجد الشيخ عبدالقادر الغصين، وبات فيه، ووصفه بأنه من أحسن المساجد، ويظهر ذلك بقوله "وهذا المسجد من أحسن المساجد رواء عالي البناء فسيح المنظر له صحن رائق مفروش بالمرمر والحجارة المنحوتة، وفيه دالية عنب قد غطت بأغصانها الناعمة جهة منه، وفيه شجرتان كبيرتان من الزان بسقتا في السماء بسوقا مفرطا كأنهما نخلتان سحوقتان، وعلى يمين قبلة الصحن مسجد كبير مرفوع على سواري كبيرة من الحجارة المنحوته، وهو مفصول عن الصحن بشبابيك غريبة الصنعة ولا يصلون فيه إلا في أيام الشتاء... وكان أصله كنيسة كغالب مساجد ذلك الساحل، إلا أن المسلمين لما ملكوا البلاد من يد الإفرنج صيروها مساجد، وقد سمعت من بعض أهل غزة أن مسجدهم ذلك كان كنيسة في زمن المسيح عليه السلام"[٦١] وقد أشار إلى بعض العادات السيئة من أهل البلد من عدم إحترامهم للمساجد، فإن لهذا المسجد، وهو أعظم مساجدهم، أبوابا بعضها إلى ناحية السوق، وبعضها إلى ناحية الدور، فلا يكون لأهل الدور مرورا إلى السوق إلا في وسط المسجد، ويمرون في صحنه بنعالهم ويستعملون فيه الدخان الذي يشربونه، وقد قال بعض المغاربة المجاورين هناك مداعبا: إن هؤلاء لا يعدون المسجد إلا الحصير بنفسه فإنهم يحترمونه ما دام مبسوطا ولا يطئونه بنعالهم، وما سوى المكان المفروش لا فرق عندهم بينه وبين الأزقة"[٦٢]، وغلب جلوسه فيه ويأوي إليه أصحابه فيه، ويقرؤون خمسة أحزاب من القرآن كل يوم قبل طلوع الشمس، وفيه خزانة كتب.

ويبدو أن الناحية العلمية لم تكن مزدهرة آنذاك فيورد العياشي بعض الإشارات تبين تردي الناحية الثقافية في بعض المدن والقرى التي زارها، إذ ورد على لسانه:" فقد استبدلوا مجالس العلم بمجالس الذكر، وقلما يخلو مسجد من الذكر ورفع الصوت والجماعات والإنشاد على هيئة سماع الصوفية، الا أن متعاطي ذلك أميون أرباب دنيا، فقلّ بذلك العلم في هذه البلاد والسواحل الشامية كلها، بقياس ما لم أر منها على ما رأيت، وبأخبار من رآها من الواردين، وقد سمعت صاحب الترجمة يختم مجالس الذكر هو وأصحابه بقصيدة فيها التوسل بخليل الله تعالى نظمها ليس حري بذلك[٦٣].

ويصف العياشي مدرسة عبد القادر الغصين بأنها في قبلة المسجد الأعظم ليس بينها وبين المسجد إلا الطريق، ويورد أن أمير مصر هو الذي بنى الرباط بالمسجد بطلب من والد الشيخ عبدالقادر الغصين " فلما دخلنا عليه قدم له الشيخ مقدمات في فضل بناء المساجد والمدارس، ثم أثنى على الشيخ عبد القادر وقال له: إنه من أهل العلم وليس ببلدكم مثله وأراد أن تأذنوا له في بناء بيت في المسجد يقرأ فيه ويقري. فقال الباشا: مثله لا يليق له البناء في المسجد، ولكن هنا موضع نحبسه عليك، وهو موضع المدرسة الآن، وكان يسكنه أقوام من أعوان الدولة. فقال له الشيخ المقري: لّما هممت بهذا فأمضه الآن ولا تؤخر. فلم يبرح منه حتى دعا القاضي وكتب وشهد الشهود، وأخرج ما كان في ذلك المحل، وحبس على المحل أوقافا يتحصل منها نحو خمس قطع كل يوم. ولم يزل المحل بعد ذلك عامرا بالذكر والقراءة ولله الحمد"[٦٤].

وفي مدينة غزة مزارات كثيرة ومساجد فاضلة في أطراف البلد فقد استولى الخراب على أكثرها، فإن هذه المدينة كانت في أول الأمر من أمهات المدن في الجاهلية والإسلام، وقد أثر الهدم فيها لوقتنا غابة، وبلغ الوهن في أطرافها النهاية، ولم يبق بها إلا رسوم ماثله تدل على أبهة كاملة في قصور الأمراء والمساجد والرباطات والمشاهد،

ومعظم عمارتها اليوم إنما هو قرب المسجد الكبير إلى دار الإمارة...ومعظم أجنتها في زمننا هذا من جهتها البحرية متصلة إلى قريب عسقلان وهي على ساحل البحر بينها وبين غزة نحو من ثلاثة فراسخ، وبين غزة والبحر نحو من فرسخ[٦٥].

الجامع الأبيض في الرملة[٦٦] وهو مشهور عند الصوفية، وفي صحنه مسجد تحت الأرض فيه مغارة زعموا قد زعموا أن بابها مسدود برصاص وأن فيها جماعة الأنبياء، وفي جانبه الغربي مسجد يقال أنه متعبد صالح عليه السلام، وفي شرقه قبر الحافظ أبي عبد الرحمن النسائي صاحب السنن، وهذا المسجد خارج البلد على حد العمران، وهو خال في أكثر الأحيان مع سعته وبهائه وانشراحه لا يشك ذو ذوق أنه مأوى الصالحين.[٦٧]

ويقول أيضا أنه من الغرائب التي شاهدناها في هذه المدينة (اللد) أن مسجدهم الأعظم كان في الأصل كنيسة، وصار اليوم نصفه مسجد ونصفه كنيسة، نسمع أصوات كل من بعضهم من ناحية صلحا، وبعض من الناحية الأخرى عنوة، فاجتمعوا في وسط الكنيسة، فصار نصفها مسجد والنصف الآخر كنيسة والله أعلم وأظن أن ذلك في فتح الشام عند فتح دمشق"[٦٨].

الشخصيات الذين لقيهم العياشي من قضاة ونواب وعلماء ومشايخ:

حافظت الرحلة التي كتبها المغاربة والمشارقة في القرون الأربعة الأخيرة، ولا سيما رحلاتهم الى بلاد الشام والحجاز، على هذا الخط في عمومه، إذ ظل هاجس الأخذ العلمي ولقاء الشيوخ واستجلاب الثقافات والمؤلفات والرويات حاضراً بقوة، بجانب الرغبة في الزيارة والشوق إلى المقدس واختراق الممالك والحواضر والعمران والأمم خير ما يمثل ذلك على سبيل المثال القيمي في موانح الأنس[٦٩]، والعبدري وبالرغم من أن لكل رحلة خصوصية في الزمان والمكان، ومزاج صاحبها مع اعتبار المستوى الذي يمثله هذا الراحل في تحصيل العلم ومدى تطلعاته إلى لقاء الشيوخ وأصنافهم وأعدادهم وحدود استفادته منهم، فإن هاجس لقاء الشيوخ، وتحصيل العلم، والحديث عنه بشكل من الأشكال، يظل القاسم المشترك بين جل نصوص الرحلات الحجازية التي عرفها هذا التراث الأدبي في المغرب.

عمل أبو سالم العياشي على المشاركه في الحياة الثقافية والعلمية لعصره، فقد أجاز واستجار عدد من معاصريه كما عمل على تداول العلم مع معاصريه، وترجم لبعض المشايخ والأعلام الذين لقيهم، ومن الشخصيات التي التقى بها الشيخ العياشي الشيخ عبد القادر الغصين (ت١٠٨٧ه/ ١٦٧٦م)[٧٠] الذي كان يحمل إليه كتابا من الشيخ إسماعيل النابلسي. وممن لقيه العياشي أيضاً بغزة الشيخ عمر الشرقي[٧١]، قاضي الحنفية، وهو صهر الشيخ الغصين. وذكر أن سلف الشيخ الشرقيّ كانوا من أهل العلم، وأنهم ازدادوا وجاهة بمصاهرتهم لآل الغصين. وقد أعطانا العياشي صورة عن حياة بعض العلماء وتعلقهم بالمناصب، حين قال إن الشيخ

الشرقي كان شافياً. وعند وفاة القاضي الحنفي، تحول إلى مذهب أبي حنيفة حتى يتولى الخطة ويتقرب من أرباب السلطة. وقد انتقد العياشي هذا السلوك[٧٢].

وقد نزل بالرملة بضيافة الفقيه الصالح السيد محمد بن أبي الوفاء الأشعري الحسيني، واليه كتب الشيخ عبد القادر الغصين [٧٣] فأكرمنا غاية الإكرام، وهذا السيد من أمثل فقهاء الشافعية في تلك البلاد، وقد تولى قضاء القدس، ومنزله بالرملة وصادفنا وقت إجتناء القطن عندهم، فكان يمتهن نفسه في ذلك مع من حضر في المنزل، ولا يأنف من ذلك، ولم يحوجنا مدة إقامتنا إلى شراء شيء من النفقة[٧٤]، ثم التقى بالشيخ خير الدين الرملي[٧٥]، وسمع منه الحديث المسلسل بالأولية، واوائل كل الكتب الستة..واخذ منه إجازة عن شيخه الجنبلاطي، وعن الشيخ سالم وغيرهما ممن كان في عصرهما[٧٦] وكان له عقارات واسعة لكنه فضل الإشتغال بالعلم على العمل في التجارة، واورد أنه غرس في الرملة ما يزيد عن مائة الف شجرة، كلها أطعمت وأكل من ثمرها، وبنى في الرمله ما يزيد على الف عتبه، يورد العياشي "أخبرني لأنه أدرك الرملة وليس بها من الفاكهة إلا القليل، فلما اشتغل بالغرس تابعه الناس فصارت الآن من أكثر بلاد السواحل فاكهة، وأخبرني أنه لا يدخر شيئا إنما يدخل بيده من المستغلات، فما فضل عن حاجته أنفقه، واخبرني الثقة أن مدخوله في كل يوم يزيد على مائة قرش، وما ولي ولاية ولا منصب، وإليه انتهت الفتوى ببلاد الشام، جلست عنده عامة يومي والفتاوى ترد عليه من أقطار الشام فيجيب عنها بلا أحر، وله ملكة وقوة عارضه في مذهب أبي حنيفة.. ومما أخبرني أن عند علماء الحنفية إذ لم يوجد حكم الفرع منصوصا عليه عندهم لأن أصول الإمامين متقاربة، وأخبرني أيضا أن مما جرى به العمل في مملكة بني عثمان كلها ويكتب في عهد العمال أن لا تسمع دعوى بعد خمسة عشر سنة إلا في وقف أو حق يتيم أو غائب، وقال إن الحاكم إذا حكم بغير ذلك فسخ حكمه لأنه معزول في غير ما عهد إليه، فلا ولاية

له[٧٧] ومن المزارات المشهورة في الرملة قبر الفضل بن عباس أخو عبد الله بن عباس عمّ النبي، صلى الله عليه وسلم، (ت١٨هـ/ ٦٣٩م)[٧٨]، وقبر السيد محمد الأشعري كان من أهل الخير ومن أفاضل أهل النسبة إلى الله كتب له كتابا[٧٩].

وقد لقي العياشي مجموعه من العلماء والمشايخ في مدينة الخليل الراوية المسن المسند يوسف القاسمي الجنيدي من ذرية أبي القاسم الجنيد [٨٠] قال عنه:" فسمعت عنه من أول الصحيحين وأجازني بأسانيده، والشيخ ابراهيم ابن شهاب الدين المرواني، وهو من فضلاء ذلك البلد، له ديانة ومروءة وأخلاق حميدة، ومشاركة في العلوم الشرعية، وهو ممن صحب شيخنا القشاشي وانتفع به، كتب اليه الشيخ عبدالقادر الغصيني بوصية بنا، فقام معنا أتم قيام، وقد اجازني وكتبت له اجازة مشتملة على نظم ونثر، وهو ممن يتولى الامامة في مسجد الخليل، والذكر بعد الصلاة"[٨١].

وفي غزة التقى بالفقيه عمر بن عبد القادر الغصيني بالقرب من رباط الشيخ عبد القادر الغصيني قال عنه " فقيه البلد وابن فقائها وكبير وابن كبرائها المشارك في فنون من العلم، المتخلق بأخلاق ذوي النهى والحلم.. وذاكرته في مسائل كبيرة من فنون العلم، وله في البحث قوة إنصاف وحسن تحل بالعلم واتصاف، وقد قرأت عليه بعض صحيح البخاري، واستنجزته وكتب لي خطه بذلك..ثم ذكر مشايخه واطلعه على كتاب له اسمه الدر والعقيان في طبائع الإنسان، ذكر فيه أول نشأة الإنسان وما يعرض له من الأحوال وكيفية تنقلاته في سائر أطوار من طور النطفة فما بعده، ونقل فيه كثيرا من أقوال الحكماء والأطباء والأطباء ما يشاكل ذلك من الآيات والأحاديث وغير ذلك[٨٢] وعمل على تخميس قصيده الامام البوسيري وحول أكثر معانيها الغزلية إلى مقاصد وعظية مع حسن التناسب والارتباط الوافي ثم خرجوا من غزة خائفين ومعهم كتاب مختوم من عبد الرحمن الغصين الى صاحب العريش الأغا احمد يوصيهما

علينا ويؤكد عليهما في شأننا وأقام بخان يونس ثلاثة أيام[٨٣] ثم انتقل منه مودعا إلى مصر"وسرنا ليلنا أجمع ونحن خائفون من سلابة العرب[٨٤].

ومن العلماء الذين لقيهم في القدس شهاب الدين الحنفي المصري، أقام بالقدس نحو الشهرين، ودرس الحديث، بالغوا اهل بالثناء عليه وذكروا له محلا في العلوم الشرعية... وكان نازلا بالقرب من رواق الشيخ منصور فدخل الشيخ العياشي عليه وتحدث معه لكنه تبين للعياشي أنه خاوي التحصيل، وكان بعض الحنفية يقرؤون عليه في فقه الحنفية، واختلف معه في تفسير معنى يوم التروية فقال الشيخ: أنه مشتق من الرؤية. فقال العياشي أن هذا لا يصح، لأن الاصل في معنى يوم التروية من الماء لأنهم كانوا يترووون فيه من الماء لعرفة، لأن عرفة لم يكن بها إذ ذاك على حسب ما ذكر غير واحد، وإما من الرؤية فبعيد من اصطلاح أهل التصريف، فأبى من قبول ذلك وأصر على ما عنده"[٨٥]... وناقشه في مسألة أخرى ذكر فسخ الحج إلى العمرة. فأنكر أن يكون ورد في الحديث أصلا فقلت له:" مثلك في جلالة قدره وغزارة علمه لا يخفى عليه مثل هذا، وهو في الصحيحين تكرر جدا بأسانيد مختلفة، فألح على إنكاره وأعرضت عنه، فعلمت أنه ممن طبع على قلبه وتبين لي جهله وغباوته، وأن ما انتشر له من الصيت إنما هو بغلبة الجهل على أهل تلك الديار وقلة المحصلين فيها، فكان يدرس في صحن الصخرة بين العشاءين الأربعين، ويطرز مجلسه بحكايات ونقول فقهية، وأعانه كون ذلك الكتاب كثرت شروحه واتسعت نقول أربابها، وغالب أحاديثه أحكام، فمن كانت له أدنى ممارسة بالفقه لا يعسر تدريسه، ومع ما عاينت من جهله وغباوته أعرضت عنه، ولم أرد فضيحته كما هو شأني في عدم الرغبة في الفضول والدخول في مثل ذلك" ثم انتقل الشيخ العياشي إلى دار الشيخ أبو حفص عمر بن عبد الصمد بن الشيخ القطب محمد العلمي، وله مكانه في قلوب الخاصة والعامة.. وتم المناقشة في دلالة الحديث على فسخ الحج إلى العمرة، واستند

إلى كتاب المواهب إلى أن وجد بجواز العمرة في أشهر الحج مستندين في الخصوصية إلى حديث رواه النسائي في ذلك، فلم يقم من ذلك المجلس إلا مدحورا، إلا أنه لجرأته أظهر عدم المبالاة ولم يقم في البلد بعد ذلك المشهد إلا يوما أو يومين وخرج راجعا الى مصر[٨٦]. تظهر هذه الرواية تفشي الجهل بين العامة ومقدرة بعض المدعين العلم، السيطرة على عقولهم، كما وتبين أن العلوم البارزة آنذاك هي:علوم القرآن والحديث، والفقه والتقى الشيخ العياشي بمدينة الخليل الشيخ عمر العلمي، وهو حفيد الشيخ محمد العلمي، وهو عالم وفقيه، توفي سنة ١١٠٩هـ/ ١٧٩٧م[٨٧]، وجده أبي بكر بن يوسف السكتاني، تلقى عنه الذكر وألبسه وأجازه، وكان يثني عليه كثيرا ويقول: ما رأيت أعبد منه مع علمه وورعه،ثم يقول فعزم علينا الشيخ عمر إلى داره، فأخذت عليه العهد، ولقنني وشد المئزر في وسطي وأقعدني وأقامني، ثم أقعدني قائلا: اجلس مريدا، وقم خادما للفقراء، واجلس مربيا لهم، ووهب لي الفوطة التي شد بها وسطي، وأجازني وكتب لي إجازة متضمنة لخطوط جماعة من أصحابه وأصحاب جده يشهدون بذلك.. وكانت في اخر صف ١٠٧٤م (نص الاجازة (٤٣٠-٤٣٧).

والتقى بالشيخان: محمود السالمي والشيخ قاسم إمام، "وقد عقدت معهما أخوة في الله وتكفلا لي بالدعاء مدة حياتهما في تلك المقامات الشريفة، ووهب لي الشيخ محمود السالمي ديوان محمد العلمي، وفيه جيد القصائد الصوفية، ووهب لي جملة من رسائله، وشيخنا عمر هو القائم مقام جده في تربية المريدين وخليفته في إقامة وظائف الدين وترتيب مجالس الذكر بين العشاءين بباب الصخرة[٨٨] وكتب العياشي رسالة عبد الصمد عمر العلمي في مدح جده الإمام ابي عبدالله محمد العلمي وسماها معالم التصديق لمعرفة دخول الفقير في الطريق (ص٤٤١-٤٥٦) وكان خروجه من القدس، لدعوة من القاضي النقاتي، وقال: إني وجدت رفقة مأمونه وهي تيسير لنا..فودعنا القاضي ودفع كراء الدواب التي ركبناها الى الخليل، وكتب كتابا الى نائبه في الخليل

يوصيه بنا..ومررنا بالجوابي التي يأتي منها الماء إلى المسجد الأقصى، وهو جوابي عظيمة في غاية السعة لم أر أوسع منها، وهي ثلاثة متوالية يجتمع فيها الماء من عين هناك حتى امتلأت ذهب في قنوات محكمات تحت الأرض إلى أن يدخل المسجد، ولم نجد فيها في هذه السنة إلا قليلا من الماء لقلة الأمطار، فغارت العيون[٨٩].

الأضرحه والقبور من خلال رحلة أبي سالم العياشي

حظيت مزارات وأضرحة بعض الصحابة والصالحين باهتمام الرحالة العياشي، لإغناء الجانب الصوفي لديه. ومن المزارات التي تبرك بها في مدينة غزة قبر الإمام الشافعي في جامع كبير تحت الأرض، لكن النووي ذكر في التهذيب أنّ الشافعي رضي الله عنه كان مولده بغزّة، وقيل بعسقلان، ثمّ حمل إلى مكّة، وهو ابن سنتين، وتوفي بمصر سنة أربع ومئتين وهو ابن أربع سنين[٩٠]. وزار العياشي قبر هاشم بن عبد المطلب جد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وإليه تنسب غزة ن فيقال: غزة هاشم، وهو يدحض أن يكون هاشم دفن بهذا المكان بفوله: وقد ذكر أهل السير أنه مات بغزة، إلا أنه يبعد تعيين قبر عربي مات في زمن الجاهلية بأرض غربة في أرض العجم ويستمر تعيينه إلى زمننا هذا، ولاشك أن هاشما رئيسا في قومه، جوادا سخيا عظيما في قريش، لا تجهل مكانته، والعرب كانت تعتني بتعظيم مقابر عظمائها، فلو كان في بلاد العرب، ما بعد كل البعد أن يتعين في الجاهلية ثم يبقى كذلك في الإسلام لمكانته من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وإلا فكم من قبر لعظيم من عظماء العرب كان مشهورا في الجاهلية ينحر عنده ويستجار به كما هو مذكور في مآثرهم قد محا الإسلام بنوره آثار ذلك كله[٩١] ومن المزارات أيضا قبر الإمام الأوزاعي، ومكانته في العلم والصلاح مشهورة، وهو إمام أهل الشام في زمانه، وله مذهب متبع[٩٢].

وقد زار في طريقه إلى الرملة مسجد فيه قبر إبراهيم المتبولي [٩٣]، وإلى جانبه من جهة القبلة مسجد صغير تحته مغارة يقال إن فيها قبر سلمان الفارسي[٩٤] ذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات. "ونظموا اتفاق العلماء على أنّ سلمان الفارسي عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل ثلاث مئة وخمسين سنة، وتوفي بالمدائن سنة ٣٦هـ/ ٦٧٦م، وقيل سنة ٣٥هـ/ ٦٧٥م"[٩٥]. وذكر الهروي أنّ قبره بالمدائن

ومن مزارات مدينة اللدد قبر يقال إنه للمقداد بن أسود، ومشهد يقال إنه لعبد الرحمن بن عوف أشار إليه مجير الدين الحنبلي وقال عنه: "وبظاهر لُدّ من جهة الشرق مشهد: يقال إنّ به قبر أبي عبد الله عبد الرّحمن بن عوف الصحابي رضي الله عنه، وكانت وفاته في ٣٢هـ/ ٦٥٢م، وإنّما توفي بالمدينة وقبر في البقيع"[٩٦]. والصحيح أنه مات بالمدينة المشرفة "[٩٧].

وبلغت الرحلة إلى الخليل ذروتها، بوصوله إلى قبر إبراهيم الخليل وابنيه اسحق ويعقوب وزوجاتهم، والقبور كلها في مغارة تحت أرض المسجد[٩٨]، وفي وسطه مغارة مفتوحة علقت فيها مصابيح توقد ليلا ونهارا، وفي أرضه شبابيك على شكل القبور مغطاة بستور من ديباج؛باستثناء قبر يوسف عليه السلام فإنه في آخر المسجد في ركنه الغربي في محل يغلق عليه ولا يفتح إلا في أوقات مخصوصة، واقتحمنا دخول المسجد اقتداء بمن جوز ذلك من العلماء ورخص فيه، وان كثير من أئمتنا المالكية قد شددوا في ذلك التكبر وقالوا: لا يحل دخوله لأن قبور الأنبياء مقطوع بأنها هناك، ولا نعلم أعيانها، فكل محل نطأ فيه يمكن أن يكون هو موضع القبر، ولا يحل الجلوس والمرور على قبر مسلم، فكيف بقبر نبي، ولكن العمل منذ افتتحت البلاد على خلاف ذلك، فقد صار ذلك المحل مسجدا تقام فيه الجمعة والجماعات على مر الإعصار، والعلماء الأخيار يفدون عليه ويسمونه في تآليفهم وأسمعتهم مسجدا، وحكم المسجد لا يمنع أحد من الدخول فيه، وقد استدل لجواز الدخول فيه الحنبلي مؤرخ القدس"[٩٩].

حرص العياشي أثناء رحلته إلى بيت المقدس على زيارة الأضرحة والتبرك بالمقامات والوقوف على بعض الزوايا والمقامات، وأورد كثيرا من أخبار المتصوفة والزهاد أكد على مكانتهم الروحية والاجتماعية وليس غريبا عليه ذلك لكونه متصوف وفقيه.

الخاتمة

أظهرت رحلة العياشي إلى فلسطين في القرن السابع عشر في بعض الأحيان، بعض الجوانب السياسية والاجتماعية، وحالة العمران في المدن والقرى التي زارها، وحالة الأمن على الطرق خصوصًا وأنّ بعض القرى كانت تعاني وجودَ قطاع الطرق، والذين حالوا في بعض الأحيان من وصوله إليها، كما أعطى العياشي صورة عن الحياة العلمية لمدن فلسطين وقراها عند زيارته لبعض المساجد، وقد غلب عليها الطابع الصوفي؛ إذ لم يلفت اهتمامه علوما أو معارف جديدة فقد كان ناقدا في بعض الأحيان للحالة التي وصل إليها التعليم هناك، ويرجع السبب إلى إزدهار التصوف آنذاك واستمرار تدريس العلوم الشرعية: علم الحديث، الفقه، التفسير، الفرائض، القراءات. والعلوم اللسانية: النحو والصرف واللغة والأدب. في المدارس الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية، إذ لم تكن المواد التي تدرَّس في دور التعليم بالقدس وقرى فلسطين الأخرى تخرج عن هذه العلوم.

وهكذا نرى أن العياشي لم يكن مهتماً بالناحية الثقافية لمدينة القدس، ولم يصف مدارسها رغم أن الرحالة المغاربة غايتهم من الارتحال الاستزادة من العلم والالتقاء بأكبر قدر من العلماء، وسماع الدروس العلمية لكن إهتمام العياشي بالدرجة الأولى، كان منصبّا على الجوانب الدينية كالمساجد والزوايا والربط، والجوانب الروحية كالانتماء إلى الطرق الصوفية، لا سيّما النقشبندية والرفاعية، والحصول من أصحابها على إجازات وشهادات، وزيارة القبور والأضرحة والتبرك بها. وكان يقدم بين يدي شيوخه الجدد بعض الأشعار للشكر والتقدير. وقد نفهم أن العياشي أراد أن يسجل في رحلته عن القدس وغيرها ما كان يشغل بال متعلمي المغرب عندئذ، وهي شؤون الدين والتصوف وأسماء المشتغلين بهما في المشرق.

ولم يكن العياشي ذا بال تجاه الجوانب الاقتصادية للمدينة، فلم يذكر تعدادا لسكانها، أو كيف انعكست أوضاع الدولة العثمانية على سكانها وما عانوه من فقر وتردي في أحوالهم الاقتصادية.

الهوامش والتعليقات:

١. عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٢م، ج٢، ص٨٨٣، وسيشار إليه فيما بعد: الكتاني، فهرس الفهارس، الإفراني، محمد بن الحاج بن عبدالله بن محمد (ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م)، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركزالتراث الثقافي، المغرب، ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٤٢، وسيشار إليه فيما بعد: الإفراني، صفوة من انتشر

٢. وهو الشيخ الصوفي أبو عبدالله محمد بن أبي بكر العياشي، توفي سنة سبع وستين والف. الإفراني، صفوة من انتشر، ص٢٤٢

٣. العياشي، إقتفاء الأثر، ص ١٠٣

٤. مدينة صغيرة جنوب المغرب بينها وبين سجلماسة اربعة فراسخ. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص ٤٥١

٥. سكن فاس وتصدر لبث العلم ونشره، فشاع خبره، وتناقل حديثه الركبان، وتنافس في الرواية والأخذ عنه الأئمه الكبار، وسافر اليه الناس من جميع الاقطار للانتفاع بعلمه، وقد الف فيه ولده الفقيه الحافظ ابو زيد عبدالرحمن: تحفة الأكابر في مناقب الشيخ سيدي عبد القادر، والاخر بستان الازاهر في أخبار الشيخ عبد القادر (صفوة)، ص٣١٠-٣١٤؛ العياشي، إقتفاء الأثر، ١١٠

٦. شيخ الجماعة بفاس، وخطيب جامع الأندلس بها، ارتحل في طلب العلم من مؤلفاته: شرحه على مختصر خليل. انظر:الطيب الفاسي، أسهل المقاصد، ص٨٤

٧. كان من العارفين في علم الأحكام، له تآليف عدة شرحه الكبير والصغير على المرشد المعين، وزبدة الأوطاب في اختصار الحطّاب، وشرح تحفة ابن عاصم، وشرح لامية الزقاق، وحاشية البخاري اختصر فيها المقدمة لابن حجر. صفوة ص٢٥١، العياشي، إقتفاء الأثر، ص١١

٨. العياشي، إقتفاء الأثر، ص١٠٢

٩. العياشي، اقتفاء الأثر، ص١٠٢-١٠٣

١٠. عليّ بن زين العابدين محمّد بن أبي محمّد زين الدين عبد الرّحمن بن علي أبو الإرشاد نور الدين الأجهوريّ، بضمّ الهمزة وسكون الجيم وضمّ الهاء نسبة إلى أجهور الورد قرية بريف مصر، المالكيّ، شيخ المالكيّة في عصره بالقاهرة، وإمام الأئمة وعلم الإرشاد وعلامة العصر وبركة الزمان، كان محدّثًا فقيهًا رجل كبير الشأن. المحبّي، خلاصة الأثر، ج٢، ص٢١٦

١١. العياشي، إقتفاء الأثر، ص١٠٦

١٢. الكتاني، فهرس الفهارس، ج٢، ص٨٣٣

١٣. الإفراني، صفوة ص٣٢٥؛ الزركلي، الأعلام، ص١٢٩

١٤. الإفراني، صفوة من انتشر، ص٣٢٥-٣٢٦

١٥. الكتاني، فهرس الفهارس، ج٢، ص٨٣٤

١٦. المصدر السابق، ص٣٢٥،

١٧. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ٤٠٤

١٨. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٠٤

١٩. المصدر السابق، ص٤٠٧

٢٠. المصدر السابق، ص٤٠٨

٢١. عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز، ق١، ص ٤٣٧.

٢٢. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٦٤

٢٣. البيارق: مفردها بيرق وكان يطلق في الأصل عند أتراك آسيا الوسطى على قطع الاقمشة المختلفة الألوان المنوحة للأبطال الذين أظهروا البسالة والإقدام في الحرب، ثم أصبح يطلق على قادة الكتائب وأصبح ذلك العلم رمزا لهم. انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠٠٠م، ص٦٨-٦٩وسيشار إليه فيما بعد: سهيل صابان، المعجم الموسوعي؛ شمس الدين سامي، قاموس تركي، درت سعادت، اسطنبول، ١٣١٧هـ، وسيشار اليه فيما بعد: شمس الدين سامي، قاموس تركي

٢٤. العياشي، الرحلة العياشية، ص٤٠٨

٢٥. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤١٧-٤١٨

٢٦. المصدر السابق، ص٤١٤

٢٧. للمزيد انظر: المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١ ص٤٢٠؛ رنسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٣٨٠

٢٨. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤١٥-٤١٤

٢٩. مصطلح من أصل فارسي، وتعني صاحب المنصب، واستخدمها أيضا الأتراك للدلالة على الضباط الأميين مثل الإنكشارية الذين لا يحتاج عملهم إلى معرفة القراءة والكتابة، انظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي، ص١٥-١٦؛ شمس الدين سامي، قاموس تركي، ص٣٨

٣٠. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ٤١٩-٤٢٠

٣١. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٠

٣٢. عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٩م، ص١٧، وسيشار إليه فيما بعد: عادل مناع، تاريخ فلسطين

٣٣. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢١

٣٤. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٢١

٣٥. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢١-٤٢٢

٣٦. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٣

٣٧. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص ٤٢٣

٣٨. يقع قبره في مدينة القدس، وبجواره يوجد قبر زوجته، قال النابلسيّ في وصف قبره: "ثمّ خرجنا فذهبنا إلى زيارة الشيخ محمد العلمي قدّس الله سرّه وأعلى درجات المقربين مقرّه، حتى دخلنا إلى جامعه المعمور وتربته المملوءة من النور، ورأينا تلك المنارة العالية التي هي كالعلم المنشور، فوق جبل الطور، ودخلنا إلى زيارته بكمال الخشوع والحضور، ونزلنا إلى قبره بدرج العشر

درجات...، وكانت وفاة الشيخ رحمه الله تعالى ليلة الأحد منتصف شهر ذي الحجّة الحرام سنة ثمان وثلاثين وألف، وعنده زوجته مدفونة في ضريح آخر وعلى القبرين جلالة ومهابة تحقق لمن دعا الله.عبد الغني النابلسيّ، الحضرة الأنسيّة، ص ١٩٧

٣٩. وتحاط هذه المغارة بقناديل من الذهب مشعلة في الليل والنهار، ومهبط رأس عيسى عليه السلام غائص في الصخر، وهو مزين بالذهب وموضوع فيه ماء الورد للتبرّك، وعليه القناديل الموقدة من الذهب في جميع الأوقات، ومكان جذع النخلة التي ولد تحتها مزين بالذهب، وعليه القناديل من الذهب أيضًا مشعلة في جميع الأوقات. عبد الغني النابلسي، الحضرة الأنسيّة، ص ٢٩٨-٢٩٩؛ الخياري المدني، تحفة الأدباء، ج٢، ص ١٩٦؛ محمد عدنان البخيت، "بيت لحم، وبيت جالا، وبيت ساحور النصارى وجوارها"، بحث منشور ضمن كتاب دراسات مهداة إلى صلاح الدين المنجد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلاميّ، لندن، ٢٠٠٢م، ص٢٣١-٢٥٨، وسيشار إليه في ما بعد: بيت لحم، بيت جالا، وبيت ساحور.

٤٠. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص ٤٢٣

٤١. روي عن أبي هريرة أنّ الله تعالى اختار من المدائن أربعًا في خبر، ثمّ قال: واختار من العيون أربعًا...، فأمّا اللتان تجريان فعين بيسان وعين سلوان، وأمّا النضّاختان فعين زمزم وعين عكا. ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص٢٥٠.

٤٢. العياشي، الرحلة العياشية، ، ج٢ص٤٢٤

٤٣. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٤

٤٤. أصلهم من قريش، وينتمون إلى الحسين بن فاطمة الزهراء، غادر جدهم فاعور الطائف، هربا من الظلم الذي حلّ في الحجاز في ذلك الوقت، وكان سالم أحد الأفراد الذين ينتمون إلى هذه العشيرة رحل عن وادي الصرار إلى قضاء غزة، وأقام هناك. انظر: عارف العارف، بئر السبع وقبائلها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٤٥-١٤٦، وسيشار إليه فيما بعد: عارف العارف، بئر السبع

٤٥. العياشي، الرحلة العياشية، ص٤٠٤

٤٦. المصدر السابق، ص٤٠٦

٤٧. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢ص٤٠٧

٤٨. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٥-٤٢٦

٤٩. المصدر السابق

٥٠. للمزيد انظر: صفيه محمد السلامين، بلاد الشام في مؤلفات عبدالغني النابلسي، ص٢٥٠-٢٦٠

٥١. عادل مناع، فلسطين، ص١٦

٥٢. عادل مناع، فلسطين، ص١٦-١٧

٥٣. ذكرت الباحثة بعض أسباب الأزمة الاقتصاديّة التي تمرّ بها الدولة العثمانيّة في التمهيد لأوضاع الدولة العثمانيّة: السياسيّة والاقتصاديّة.

٥٤. عبد الكريم رافق، "فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجريّ/ التاسع عشر الميلاديّ"، الموسوعة الفلسطينية (القسم الخاص)، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، مج٢ ص٧٠٠، وسيشار إليه في ما بعد: عبد الكريم رافق، فلسطين في عهد العثمانيّين.

٥٥. إبراهيم بن عبد الرّحمن الخياري، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، ج٢، ص٢٧٢.

56. Evliya Tschelebi's, "Travels in Palestine", Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine, Vol. VIII, 1938,pp. 145

57. Evliya Tschelebi's, Travels in Palestine, pp.146

58. Henry Maundell, A Journey from Aleppo to Jerusalem 1967,on Early Palestine, Edited By Thomas Wright, AMS Press,New York,p 348 ، صفية السلامين، بلاد الشام، ص ٢٥٦

٥٩. P349 Henry Maundell, A Journey from Aleppo to Jerusalem, أشار البكري الصديقي إلى خطر قطاع الطرق وهو في طريقه إلى القدس. وممّا ورد في ذلك قوله: "فبينما نحن نسير ضحًى في تلك البقاع، وإذا بمردف ومعه آخر من القطاع، فعرف الركب أنّهم طليعة،

فاجتمعوا واطلعوا المكاحل البديعة، حتى ملأوا تلك الصحراء من ضربهم وأعلموا الكامنين بشدة بأسهم وحربهم". انظر: البكري الصديقي، الخمرة الحسيّة، ص٨، ورقة أ. صفية السلامين، بلاد الشام في مؤلفات عبد الغني النابلسي، ص٢٥٩

٦٠. عادل مناع، فلسطين، ص١٥-١٦

٦١. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٠٨

٦٢. المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٩

٦٣. المصدر السابق، ج٢، ص ٤٥٨-٤٥٩

٦٤. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٠٩

٦٥. المصدر السابق، ج٢، ص٤١٣

٦٦. بناه سليمان بن عبد الملك عندما ولي الخلافة في سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م، وفي صحنه مغارة تحت الأرض دفن فيها سيدنا صالح النبي، عليه السلام، ثمّ لّما فتح الملك الظاهر بيبرس يافا سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧ م عمر القبة التي على المحراب والباب المقابل لها. ومئذنته أنشئت في أيام السلطان محمد بن قلاوون على أنقاض منارة قديمة بناها الظاهر بيبرس. انظر: الموسوعة الفلسطينية، مج٢، ص٤٧٦؛ الدباغ، معجم بلادنا فلسطين، ج٤، ق٢، ص٤٤٧-٤٤٩

٦٧. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص ٤١٩

٦٨. المصدر السابق، ج٢، ص ٤١٩-٤٢٠

٦٩. اللقيمي، مصطفى أسعد (ت١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م)، موانح الأنس في رحلتي لوادي القدس، (تحقيق مروان القدومي، عمار توفيق بدوي، عبد الرحمن المغربي)، مركز الدراسات الإسلامية والمخطوطات، باقة الغربية، ٢٠٠٤م.

٧٠. هو عبد القادر بن أحمد بن يحيى بن محمد ابن اسماعيل بن شعبان المعروف بابن الغصين الغزيّ الشافعي، العالم العامل والولي الصالح، تعلّم في مصر واخذ الطريقة الرفاعيّة عن محمد المقدسي. المحبي، خلاصة الاثر، ج٢، ص٤٣٧

٧١. عمر بن عبدالقادر المشرقي الغزي، تولى الفتيا، توفي بغزة ١٠٨٧هـ. المحبي، خلاصة الأثر، ج٣، ص٢١٢

٧٢. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤١٢-٤١٣

٧٣. هو عبد القادر بن أحمد بن يحيى بن محمد ابن اسماعيل بن شعبان المعروف بابن الغصين الغزيّ الشافعي، العالم العامل والولي الصالح، تعلّم في مصر واخذ الطريقة الرفاعيّة عن محمد المقدسي، زاره الخياريّ المدنيّ في رحلته إلى القدس. الخياري المدني، تحفة الأدباء، ج٢، ص٢٠٣؛ المحبي، خلاصة الاثر، ج٢، ص٤٣٧

٧٤. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص ٤١٥

٧٥. ينتسب خير الدين إلى عليّ بن عليم من ذريّة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، طلب العلم في الجامع الأزهر ثمّ تحوّل إلى المذهب الحنفيّ، وفي عام ١٠١٣هـ/ ١٦٠٥م مارس التدريس والإفتاء، وذاع صيته، ووردت إليه الأسئلة من مختلف البلاد. للمزيد عن الرّمليّ وفتاويه. انظر: Haim Gerber, "Palestine and other Territorial Concepts in the 17th Century".Journal of Middle East studies, Vol 30.Nov 1998,pp. 563-572

٧٦. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤١٥

٧٧. المصدر السابق، ج٢، ص٤١٦

٧٨. عبد الغني النابلسيّ، الحقيقة والمجاز، ق١، ص٤٠٠، وضريحه يقع على يسار الذاهب إلى القدس من يافا، في مسجد على اسمه في الشارع الرئيس مقابل دير الراهبات، من عائلة العجو، وهو مزار مشرف جلي الأنوار. شكري عراف، طبقات الأنبياء، ج١، ص٩٥

٧٩. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤١٨-٤١٩

٨٠. عبد الغني النابلسيّ، الحضرة الأنسيّة، ص٧٣.

٨١. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص ٤٥٨-٤٥٩

٨٢. المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٢-٤٦٣

٨٣. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٦٥-٤٦٦

٨٤. المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٧

٨٥. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٨

٨٦. المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٨-٤٢٩

٨٧. عبد الغني النابلسي، الحضرة الأنسيّة، ص٢٣٣؛ عبد الغني النابلسي، الحقيقة والمجاز، ق١، ص٣٨٤، الحسيني، تراجم أهل القدس، ص٨٦.

٨٨. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٣١

٨٩. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤٥٧

٩٠. عبد الغني النابلسيّ، الحقيقة والمجاز، ق١، ص٤٦٣

٩١. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص ٤١٣-٤١٤

٩٢. المصدر السابق، ج٢، ص ٤١٤

٩٣. هو إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المتبولي، أحد المتصوّفة، قدم من بلدة متبول إلى مصر وصار يبيع الحمص المسلوق، ثمّ أقام بزاوية بدرب السر، ثمّ تحول إلى زاوية تعرف بدرب السباع، وصار الفقراء يتردّدون عليه، ويقصده الأكابر والأعيان لزيارته والتبرّك به، خرج إلى القدس فمات في الطريق، فدفن بأسدود عند سليمان الفارسي، وقيل إنه عاش مئة وتسع وتسعين سنة. انظر ترجمته: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت ج١، ص٨٥-٨٦، وسيشار إليه فيما بعد: السخاوي، الضوء اللامع؛ النابلسيّ، الحقيقة والمجاز، ج٢، ص٤٢٤.

٩٤. العياشي، الرحلة العياشية، ج٢، ص٤١٥-٤١٤

٩٥. النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص٢٢٧.

٩٦. أبو محمد عبد الرحمن بن عوف الصحابي، توفي ٣٢هـ/ ٦٥٢م، وقد نقل أنه توفي بالمدينة. مجير الدين العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص١٣٢

٩٧. ص ٤١٩-٤٢٠

٩٨. عبد الغني النابلسيّ، الحضرة الأنسيّة، ص٢٦٠، العليمي، الأنس الجليل، ج١، ص١٢٣، قال عنها ابن الفقيه: "ومدينة اللجون فيها صخرة عظيمة مدوّرة خارج المدينة، وعلى الصخرة قبّة زعموا أنها مسجد إبراهيم"، ويلتقي الهروي معه بالقول إنّ فيها قبر إبراهيم عليه السلام. انظر:، الهروي، الإشارات، ص٢٣؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ص١٥٤

٩٩. ص٤٥٧-٤٥٨

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- الإفراني، عبدالله بن محمد (ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م)، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي، المغرب، ط١، ٢٠٠٤م.
- البكري الصديقي، مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين (ت١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م)، الخمرة الحسيّة في الرّحلة القدسية، نسخة دار التراث الإسلامي في إبريديس، نسخة مصورة مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان.
- الحسيني، حسن عبد اللطيف (١٢٢٦هـ/ ١٨١١م)، تراجم اهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري، (تحقيق سلامة نعيمات)، منشورات الجامعه الأردنية، عمان، ٢٠١٠م.
- رنسمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية (٣ج)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت
- العليمي، مجير الدين الحنبلي (٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ط١، ٢ج تحقيق محمود عودة الكعابنة، مكتبة دنديس، عمان، ١٩٩٩م
- الكتاني عبد الحي، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٢م،
- اللقيمي، مصطفى أسعد (ت١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م)، موانح الأنس في رحلتي لوادي القدس، (تحقيق مروان القدومي، عمار توفيق بدوي، عبد الرحمن المغربي)، مركز الدراسات الإسلامية والمخطوطات، باقة الغربية، ٢٠٠٤م.
- المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت:١١١١هـ/ ١٦٩٩م) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر٤ج، مكتبة خياط، بيروت، دون تاريخ.

- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م)، السلوك لمعرفة دول الملوك ٣ج، ق٣، (تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور)، مطبعة دار الكتب، وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٧٠م.
- النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (ت: ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م)، الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، ط١ (دراسة وتحقيق: أكرم العلبي)، دار المصادر، بيروت، ١٩٩٠م.
- ـــــ، الحقيقة والمجاز؛ في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، دار المعرفة، دمشق، دون تاريخ.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) تهذيب الأسماء واللغات، ادارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ت .
- الهروي، الحسن علي بن أبي بكر (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م)، الإشارات إلى معرفة الزيارات، جانين سورديل، دمشق، ١٩٥٣م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، ٥مج، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م.

المراجع:

- البخيت، محمد عدنان، "بيت لحم، وبيت جالا، وبيت ساحور النصارى وجوارها"، بحث منشور ضمن كتاب دراسات مهداة إلى صلاح الدين المنجد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلاميّ، لندن، ٢٠٠٢م، ص٢٣١-٢٥٨، الدباغ، مصطفى مراد (ت ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، بلادنا فلسطين (١٠ج)، دار الهدى، كفر قريع، ٢٠٠٢م.
- رافق، عبدالكريم "فلسطين في عهد العثمانيين من مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجريّ/ التاسع عشر الميلادي"، الموسوعة الفلسطينية (القسم الخاص)، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، مج٢ ص٧٠٠، وسيشار إليه في ما بعد: عبد الكريم رافق، فلسطين في عهد العثمانيّين.
- السلامين، صفية محمد، "بلاد الشام في مؤلفات ورحلات الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م)، رسالة ماجستير، بإشراف، محمد عدنان البخيت، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١٢م
- صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد، الرياض، ٢٠٠٠
- شمس الدين سامي، قاموس تركي، درت سعادت، اسطنبول، ١٣١٧هـ.
- عادل مناع، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٩م.
- عارف العارف، بئر السبع وقبائلها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٤٥-١٤٦، وسيشار إليه فيما بعد: عارف العارف، بئر السبع.
- عراف، شكري، طبقات الأنبياء والأولياء الصالحين في الأرض المقدسة، ٢ج، القاهرة ١٩٩٣م.
- الموسوعة الفلسطينية (٤مج)، تحرير عبد الهادي هاشم، دمشق، ط١، ١٩٨٤م.

المراجع باللغة الإنجليزية

- Evliya Tschelebi's, "Travels in Palestine", Quarterly of the Department of Antiquities in Palestine, Vol. VIII, 1938,pp. 145.
- Henry Maundell, A Journey from Aleppo to Jerusalem 1967,on Early Palestine, Edited By Thomas Wright, AMS Press,New York,p 348
- Haim Gerber, "Palestine and other Territorial Concepts in the 17th Century".Journal of Middle East studies, Vol 30.Nov 1998,pp. 563-572